

أزمة المشروع الوطني الفلسطيني

والآفاق المحتملة



محرر

د. محسن محمد صالح

المشاركون

أسامة حمدان	أحمد خليفة	د. إبراهيم شرقية
د. عبد الحميد الكيالي	رفعت شناعة	د. حسين أبو النمل
د. محسن محمد صالح	أ. د. مجدي حماد	د. ماهر الطاهر
	وائل أحمد سعد	



الفصل الثالث

**رؤية الجبهة الشعبية لتحرير
فلسطين لأزمة المشروع الوطني
الفلسطيني**

رؤية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لأزمة المشروع الوطني الفلسطيني

د. ماهر الطاهر*

أتوجه بالشكر لمركز الزيتونة للدراسات والاستشارات على مبادرته الكريمة بعقد هذه الندوة وأتوجه بالتحية للأخ العزيز د. محسن صالح مدير المركز.

سأتحدث حول رؤية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ورؤيتي، ولا أستطيع أن أتحدث باسم كل اليسار الفلسطيني؛ لأنني لا أضمن بأن ما سأقوله يعبر عن وجهة نظر أطراف اليسار المختلفة. سأحدث بإيجاز وتكثيف متناولاً بعض النقاط الأساسية حول أزمة المشروع الوطني الفلسطيني والآفاق المحتملة.

تعيش الساحة الفلسطينية أزمة عميقة وشاملة تمس مختلف جوانب العمل الوطني؛ فكرياً وسياسياً، تنظيمياً وكفاحياً، أي أن الأزمة لها أبعاد مختلفة: أزمة سياسية، وأزمة على الصعيد العسكري والمقاومة، وأزمة رؤية وفقدان لاستراتيجية عمل واضحة على جميع الأصعدة.

بعد نكبة 1948 عاش الشعب الفلسطيني حالة ضياع، ولكنه نهض من تحت الركام وفجر ثورته المسلحة سنة 1965. وكان قبل ذلك قد تم تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية بقرار عربي سنة 1964، وتمت صياغة الميثاق القومي للمنظمة، التي عبرت عن الشخصية الوطنية للشعب الفلسطيني.

شكلت هزيمة حزيران 1967 نقطة تحول في الواقع العربي والفلسطيني، ونهضت الثورة الفلسطينية المسلحة كأحد أشكال الردّ على الهزيمة. وكانت الثورة في نقطة متقدمة وقرت تعويضاً نفسياً هائلاً بعد الهزيمة، ولكن لم يدرك الكثير من الناس أن القضية الفلسطينية دخلت في منزلق خطير ومرحلة جديدة، لأن قضية فلسطين مرتبطة بشكل جدي وثيق مع الوضع العربي، تتقدم بتقدمه وتراجعه.

* عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ومسؤول قيادتها في الخارج.

بعد سنة 1967 تمّ تغيير شعار تحرير فلسطين، بشعار إزالة آثار العدوان والموافقة على القرار 242، والحديث عن الانسحاب من الأراضي المحتلة سنة 1967، وهذا انعطاف كبير واستراتيجي، ترتب عليه الكثير من النتائج والخيارات.

بعد حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973 حصل انعطاف آخر في الوضع العربي ترك تأثيره الكبير على الوضع الفلسطيني؛ وتمّ الانتقال العملي لفكر التسوية والمفاوضات والحل السياسي، وتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد Camp David Accords التي أخرجت مصر، أكبر دولة عربية، من دائرة الصراع، وأدّى هذا إلى تدمير هائل للقضية الفلسطينية على مختلف الصُّعد. وانتقلت الساحة الفلسطينية ذاتها بتأثير الوضع العربي والدولي، من فكر المقاومة والتحرير الشامل إلى فكرة ونهج التسوية، في ظلّ اختلال عميق في موازين القوى. وتمّ طرح فكرة الحل المرحلي والدولة الفلسطينية على أراضي سنة 1967، وهنا بدأت، باعتقادي، الأزمة العميقة في الساحة الفلسطينية.

وانقسمت الساحة الفلسطينية انقساماً عميقاً بين نهج التسوية ورفض التسوية، وتأسست جبهة الرفض الفلسطينية إلى أن تمّ الاتفاق على الهدف المرحلي بعد مخاض وصراع سياسي - فكري طويل. ولكن تمّ الاتفاق على هذا الهدف على أساس ربط المرحلي بالاستراتيجي، واعتبار الدولة على الأراضي المحتلة سنة 1967 خطوة على طريق تحقيق الهدف الاستراتيجي بتحرير فلسطين. وتمّ رفع شعار حقّ العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة وعاصمتها القدس، كشعار وهدف مترابط ومتكامل، وشكل ذلك برنامجاً ل.م.ت.ف.

وهنا ينبغي طرح سؤال أساسي؟ هل وقعت القيادة الرسمية والساحة الفلسطينية في خطأ استراتيجي عندما تبنت فكرة الهدف المرحلي، أم أن هذا شكّل تطوراً في الفكر والعقل السياسي الفلسطيني؟ هذا السؤال يحتاج إلى نقاش جادّ وموضوعي وصادق في الساحة الفلسطينية. هل هذا الهدف المرحلي ما زال صالحاً، أم أنّ هناك استحالة للوصول إلى حلّ سياسي مع الكيان الصهيوني؟

إن لم أكن مخطئاً الدكتور يوسف صايغ كتب مقالاً في أواسط سبعينيات القرن العشرين قال فيه: "لماذا هذا الخلاف والانقسام حول الهدف المرحلي؟ توحدوا حول هذا الهدف ولكنكم ستكتشفون بعد 20 أو 25 عاماً أن "إسرائيل" لن تقبل بذلك، وبالتالي ستعودون وتتوحدون حول برنامج تحرير فلسطين".

لقد تمّ الاتكاء على فكرة الحلّ المرحلي وثقافة الحلّ السياسي للقضية للانتقال إلى المحطة الأخطر، التي عمقت مأزق الحركة الوطنية الفلسطينية، وأدخلتها في نفق مظلم عندما تمّ القفز نحو اتفاق أوسلو؛ الذي شكل باعتقادي كارثة للقضية الفلسطينية، وأدخلنا مرحلة جديدة بكلّ معنى الكلمة، قسمت الشعب الفلسطيني من قمة الرأس حتى أخمص القدمين، وما زالت الأزمة تتعمق وتتخذ أبعاداً شاملةً ارتباطاً بهذا التحول الخطير.

وتمّ ضرب وتمزيق الفكرة التوحيدية الجامعة للشعب الفلسطيني؛ أي م.ت.ف وميثاقها وحتى برنامجها المرحلي كما أقرته وثائق المنظمة، بما في ذلك حقّ العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة، كخطوة على طريق تحقيق الهدف الاستراتيجي. وكذلك تمّ إخراج أهلنا في أراضي الـ 48 من المعادلة، وتمّ طرح علامة سؤال كبيرى بعد أوسلو حول مصير اللاجئين الفلسطينيين في الشتات؟

رسّخت اتفاقية أوسلو ورسمت التنازل الفلسطيني الرسمي عربياً ودولياً وأوجدت واقعاً جديداً، حيث تمّ الاعتراف بحق "إسرائيل" في الوجود، وتمّ ضرب ميثاق م.ت.ف وهي الإطار الجامع والموحد للشعب الفلسطيني، فلم تعد كما كانت وتحولت إلى إطار شكلي.

وفي هذا الإطار، لا بدّ من تسجيل الملاحظات التالية:

1. أصبح الرهان عند القيادة الرسمية الفلسطينية على عوامل خارجية ودولية وإقليمية، وليس على العامل الذاتي الفلسطيني.
2. تمّ انتزاع القضية الفلسطينية والمقاومة وعزلها عن عمقها العربي، وأصبحت قضية قُطرية ومسؤولية فلسطينية، وليست القضية المركزية للأمة. فمؤتمر الرباط سنة 1974 جعل م.ت.ف ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني، وهو شعار حقّ يراد به باطل، وخدعة مدروسة للتخلي عن المسؤولية العربية الرسمية، لتصبح قضية فلسطين تخصّ الشعب الفلسطيني وحده، وليتم طرح وتسويق مقولة تقبل بما تقبل به قيادة م.ت.ف.
3. ومما عمّق المأزق أيضاً العلاقة مع الأنظمة على حساب الشعوب.

4. إن "أوسلو" هو نهج سياسي وفكري واقتصادي وثقافي، ترتبت عليه نتائج في غاية الخطورة دفع ثمنها الشعب الفلسطيني غالباً. وفي مواجهة أوسلو وتداعياته تعمق مأزق الساحة الفلسطينية.
5. كان يمكن لبرنامج مقاوم ومناهض بشكل جذري لهذا الخطّ وهذا النهج أن يضع الوضع على السكة الصحيحة؛ ولكن انخراط حماس في السلطة وفشل قوى اليسار الفلسطيني في تشكيل إطار فاعل وقوي أسهم في تعميق المأزق، وأدى إلى ركود في الحالة الشعبية ونوع من الضياع في الظروف الراهنة.
6. إن "إسرائيل" تخطط لانسحاب أحادي الجانب من الضفة، بعد تشكيل ما سمي بحكومة الوفاق الوطني (نتنياهو - موفاز Mofaz).
7. تمّ الوقوع في أخطاء ذات طبيعة استراتيجية، على حساب العلاقة بين الاستراتيجية والتكتيك، حيث انهارت الاستراتيجية لصالح تكتيك مرتبك، وتمّ انتهاك الاستراتيجية بصورة عميقة.
8. أمام هذا المأزق، تقول السلطة الفلسطينية أن كلّ الخيارات مفتوحة أمام القيادة الرسمية الفلسطينية ما عدا: حلّ السلطة، واستئناف المقاومة المسلحة، وإنهاء الالتزامات الناجمة عن أوسلو؛ على الرغم من أن "إسرائيل" لم تطبق هذا الاتفاق بالرغم من كلّ مساوئه، ونظرت إليه على أساس أنه يشكل مدخلاً لتقويض وضرب الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني والمشروع الوطني.
9. كان مركز الثقل للثورة لفترة طويلة في الخارج مع إهمال الداخل، وجاءت انتفاضة سنة 1987 فغيرت المعادلة، ولكن بعد أوسلو تمّ الوقوع بخطأ معاكس، حيث انتقل الثقل إلى الداخل، وتمّ إهمال الخارج وأهل الـ48.
10. هناك عوامل أخرى أسهمت في تعميق الأزمة في الساحة الفلسطينية تتمثل في: البعد التنظيمي: أي مسألة الاستفراد في القرار، وعدم وجود قيادة جماعية، وفقدان الديمقراطية.
11. إن المقاومة المسلحة قد وصلت إلى المأزق بسبب العوامل السياسية، كما أن جميع القوى لديها مأزق أيضاً.

المعالجة:

إن المعالجة تكون بالأمر التالية:

1. الاقتناع بأنه أن الأوان لوقف ذات طبيعة استراتيجية، وإنهاء منهج العمل يوماً بيوم، ونرى ضرورة ملحة وعاجلة لرسم رؤية واستراتيجية جديدة.
2. أَدْعُو لِمُؤْتَمَرٍ وَطَنِيٍّ شَامِلٍ مِنَ الْفَصَائِلِ وَالْقُوَى وَشَخْصِيَّاتٍ أَكَادِيمِيَّةٍ وَمُتَقَفِينَ وَفَاعِلِيَّاتٍ، وَانظُرُوا كَيْفَ يَقِيمُ الْعَدُوُّ مُؤْتَمَرَ هِرْتْسَلِيَا Herzliya Conference كُلِّ عَامٍ.
3. إنهاء الانقسام وفق رؤية سياسية وتنظيمية واضحة.
4. إعادة الاعتبار لمنظمة التحرير الفلسطينية وبرنامجها وميثاقها.
5. إعادة البعد العربي والإسلامي والدولي العالمي للقضية الفلسطينية.
6. اعتماد المقاومة كخيار استراتيجي، لاستحالة الوصول إلى حل سياسي مع الكيان الصهيوني بسبب طبيعته وتركيبته، والتأكيد على أهمية كافة أشكال النضال.
7. إعادة الاعتبار لشعار تحرير فلسطين.

في لقاء لنا مع الرئيس التونسي المنصف المرزوقي، قلنا له: في ثورتكم رفع الشعب التونسي شعار "الشعب يريد تحرير فلسطين"، ونحن نريد أن تعملوا لهذا الشعار. وفي مصر بعد فوز د. محمد مرسي، أنا لا أفهم لمَ الحديث عن الالتزام بالاتفاقيات والمعاهدات؟

نريد نهجاً جديداً وإعادة الاعتبار لشعار تحرير فلسطين، وأن القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للأمة؛ لأن المشروع الصهيوني يشكل خطراً، ليس على الشعب الفلسطيني فحسب، بل على الأمة بأسرها.